

# "نافذة مصر" في حوار مع الدكتور "أكرم كساب" حول "الابتلاء وأنواعه ودرجاته"



الأربعاء 10 مايو 2017 05:05 م

كتب: - أجرى الحوار "حنين أحمد - أعدده للنشر "فارس أحمد"

## أجرى الحوار "حنين أحمد - أعدده للنشر "فارس أحمد"

ذكر "كساب" في حوارهِ معنا أن الابتلاء ثلاث أنواع ذكرهم الاصفهاني، وأن من معاني البلاء "الاختبار والامتحان، والتجريب والاجتهاد، والكشف والظهور، والفناء والمعرفة، وهو اختبار الخلق من الله، وهذا البلاء قد يكون بالخير، وقد يكون بالشر". وعن أنواع الابتلاء قال للبلاء أنواع، وهذا يختلف باختلاف المرء، ودرجة إيمانه، وعن حكمة الابتلاء قال تحقيق العبودية لله رب العالمين، إذ العبودية لله لا تظهر حقيقتها إلا إذا أظهر العبد ذلّه وانقياده في العسر كما في اليسر.

وعن التفريق بين البلاء والعقوبة ذكر البلاء يتعلق بالمستقبل لا الماضي في الأغلب، لأنه قد يحدد مكانة العبد عند ربه، أما العقوبة فأكثر تعلقها بالماضي السيء عند العبد، فلا عقوبة بغير ذنب.

وأضاف عن الحكمة من الابتلاءات التي يبئلي الله بها المؤمنين تحقيق العبودية لله رب العالمين، تكفير الذنوب وتمحيص الخطايا، البلاء يظهر حقيقة البشر لأنفسهم، فتظهر حقيقتهم لأنفسهم، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنَّهُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

### 1- ما هو الابتلاء؟

البلاء من بلى، وبلوته أي اختبرته

ومعاجم اللغة تفيد بأن من معاني البلاء

: الاختبار والامتحان، والتجريب والاجتهاد، والكشف والظهور، والفناء والمعرفة. وهو اختبار الخلق من الله، وهذا البلاء قد يكون بالخير، وقد يكون بالشر، قال تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35]، وقد جاءت التكاليف الشرعية بمثابة نوع من أنواع الابتلاء، وذلك لأمر ثلاثة ذكرها الاصفهاني في (مفردات ألفاظ القرآن) :

- أحدها: أن التكاليف كلها مشاق على الأبدان، فصارت من هذا الوجه بلاء.

- والثاني: أنها اختبارات.

- والثالث: أن اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسار ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء، فالمحنة مقتضية للصر، والمنحة مقتضية للشكر.

وما الفرق بينه وبين الابتلاء؟

هناك بلاء وابتلاء، والفرق بينهما أن البلاء يكون للمسلم والكافر، فأما المسلم فيكون بالطاعات والتكاليف، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: 124]، ويكون البلاء أيضا للمسلم بسبب عصيانه وخطئه، وفي الصحيحين عن أبي هريرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أذى وَلَا غَمٍّ، حَتَّىٰ الشَّوْكَةِ يُشَاكَّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».

وأما الكافر فيكون لكفره وفجوره، قال تعالى: ﴿وَلَذِيقَتَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ ذُوقَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: وتلك طبيعة الحياة الدنيا].

لكن الابتلاء أخص وأدق، فهو لا يكون إلا للمسلم، وهو للطائع أكثر منه للعاصي، فالله يبئلي عبده ليحصه من ذنوبه ومعاصيه، التي هي أوساخه وأدرانته.

### 2- ما أنواع الابتلاء ودرجاته؟

للبناء أنواع، وهذا يختلف باختلاف المرء، ودرجة إيمانه:

فقد يكون لمحو الذنوب والخطايا، وفي الصحيح: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعُكًا شَدِيدًا؟ قَالَ: «أَجَلٌ، إِنِّي أُوَعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى، سَوْكَةٌ مِمَّا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَفَقَهَا».

وقد يكون رفعا للدرجات، وهذا كما هو في شأن الأنبياء، فعند ابن ماجه عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُوَعَّوَكٌ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ مَوْصَعَةٌ يَدِي عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُ حِرَارَتَهَا فَوَقَّ الْقَطِيفَةَ، فَقُلْتُ: مَا أَشَدَّ حَرَّ حُمَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّا كَذَلِكَ، يُشَدُّ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بِلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الْعُلَمَاءُ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الصَّالِحُونَ، كَانَ أَحَدُهُمْ يَيْتَلَى بِالْفَقْرِ، حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعِبَاءَةَ يَلْبَسُهَا، وَيَيْتَلَى بِالْفَقْلِ حَتَّى يَفْتُلَهُ، وَلَا أَحَدُهُمْ أَشَدُّ فَرَاكًا بِالْبَلَاءِ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِالْعِطَاءِ»، وعند أحمد: عَنْ مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بِلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَقْمَلُ، فَلَا أَقْمَلُ مِنَ النَّاسِ، يَيْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بِلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ حُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَفْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ حَطِيبَةٌ» والله تعالى يقول: {وَلَقَدْ قَتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَلْعَلَّمُوا اللَّهُ الَّذِينَ صَدَّقُوا وَيَلْعَلَّمَنَّ الْكَافِرِينَ} [العنكبوت: 3].

وقد يكون البلاء عقوبة من الله للعبد، روى أحمد في مسنده: عَنْ تُوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرَّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْقَدْرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعَمْرِ إِلَّا الْبِرُّ».

### 3- ما هي الحكمة من الابتلاءات التي يتلى الله بها المؤمنين ؟

أما الحكمة من الابتلاء فهي كثيرة، ويمكن الإشارة إلى بعضها:

اولا :

تحقيق العبودية لله رب العالمين، إذ العبودية لله لا تظهر حقيقتها إلا إذا أظهر العبد ذله وانقياده في العسر كما في اليسر، وفي الضيق والشدة كما في الفرج والسعة، والله تعالى يقول: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ} [الحج: 11]، فالعبد المؤمن في الشدة والضيق يجأر إلى ربه، ويهرع إليه ويستعين به، فتظهر عبودية التوكل واليقين والثقة في الله سبحانه [رفع الدرجات، فقد روى مسلم عن عائشة، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ سَوْكَةٍ مِمَّا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا حَطِيبَةٌ».

ثانيا:

تكفير الذنوب وتمحيص الخطايا، وفي المسند عند أحمد: عن عبد الله بن مغفل أن رجلا لقي امرأة كانت بغيا في الجاهلية فجعل يلاعها حتى بسط يده إليها فقالت المرأة مه فان الله عز وجل قد ذهب بالشرك\_ وَقَالَ عَمْرٌو مَرَّةً: ذَهَبَ بِالْجَاهِلِيَّةِ - وَجَاءَنَا بِالْإِسْلَامِ [قَوْلِي الرَّجُلُ، مَا أَصَابَ وَجْهَهُ الْخَائِطُ، فَسَجَّهَ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: " أَنْتَ عَبْدُ أَرَادَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا ] إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا أَمْسَكَ عَلَيْهِ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ عَيْرٌ " .

ثالثا

التعجيل بالتوبة، فالعبد إذا وجد بلاء من الله أدرك أن معصية وقع بها فوجبت عليه التوبة، والله تعالى يقول: { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ أُدْيِكُمْ وَيَعْمَوُ عَنْ كَثِيرٍ } [الشورى: 30]، ويقول: { أَوَلَمْ نَأْتِكُمْ مِصِيبَةً مِمَّا كُنْتُمْ مَلُومِينَ } هَذَا قُلُّهُ هُوَ مِنْ عُنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران: 165].

رابعا

في البلاء تذكير بنعم الله على العبد، وتفضيله على كثير من خلق الله تعالى، {وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم: 34]، وبعض الناس لا يدرك نعمة الصحة إلا إذا مرض، ولا يدرك نعمة الولد إلا إذا فقده، ولا يدرك نعمة الأمن إلا إذا أخافه عدو غشم، أو سلطان جائر [

خامسا

في البلاء إظهار لمحبة العبد لربه، ومحبة ربه له، لك أن رضا العبد بما قسمه الله له من خير أو شر يجعله عند الله محبوبا، روى الترمذي عن أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وروى عنه أيضا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ عَظْمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظْمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ قَلْبَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخَطَ قَلْبَهُ السَّخَطُ»: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

سادسا

البلاء يظهر حقيقة البشر لأنفسهم، فتظهر حقيقتهم لأنفسهم، {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران: 179]، وليس في سابعها

البلاء إظهار شيء لله، فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لكن بهذا البلاء تظهر حقيقة البشر لأنفسهم حتى إذا كان يوم القيامة شهدت عليهم أعضاؤهم: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (24) يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: 24، 25]، كما تظهر للبشر حقيقة غيرهم لهم، فكم من بلاء أظهر الصديق المنتفع بالكذب، وأظهر الصديق المحب الصدوق [

سابعاً

في البلاء إظهار لطبيعة الدنيا وحفارتها، فما جعلها الله دار راحة، بل هي دار هم غم، روى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»، وفي الصحيحين: عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِيعِي الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ»، وَالشَّاعِرُ يَقُولُ:  
جبلت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقدار والأكدار  
ومكلف الأسام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار  
وقال آخر:

إياك والدنيا الدنية إنها دارٌ إذا سألتمها لم تسلم  
وأخيرا: فالبلاء مقدمة لتمين أهل الإيمان، وقد سئل الشافعي: أيمن للرجل أم يبتلى؟ قال لا يمكن له حتى يبتلى [100] والله تعالى يقول:  
{ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } { العنكبوت: 2 } ..

#### 4- كيف نفرق بين الابتلاء والعقوبة ؟

الحديث عن العقوبة والبلاء والفرق بينهما يطول؛ لكن يمكن اختصار ذلك في نقاط محددة:  
البلاء يتعلق بالمستقبل لا الماضي في الأغلِب، لأنه قد يحدد مكانة العبد عند ربه، أما العقوبة فأكثر تعلقها بالماضي السيء عند العبد، فلا عقوبة بغير ذنب [ ]

البلاء يشمل كل خلق الله، لأن الله ما خلق الخلق إلا لهذا، قال تعالى: { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُوفُ } { الملك: 2 }،  
أما العقوبة فلا تكون إلا لمن أساء مع الخلق أو الخالق سبحانه، وعند الترمذي عن أنس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».  
البلاء قد يكون بذنب، وبغير ذنب؛ لكن الغالب فيه الاختبار للعبد؛ هل يصبر العبد أم يجزع، أما العقوبة فهي لذنب وقع، قال تعالى: { فَكَلَّمْنَا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَمْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا } { العنكبوت: 40 }.

البلاء يصاحبه حب من الله للمبتلى، وفي البخاري: «مَنْ بَرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبُ مِنْهُ»، وعند الترمذي عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ عَظْمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظْمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» أما العقوبة فمعها الغضب لا الحب ولا الرضا، قال تعالى: { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ } { الدخان: 29 }.

هل ما يتعرض له أهل الحق الان ابتلاء أم عقوبة عن ذنب ما ؟  
لا شك أن أهل الحق الآن في محنة عظيمة، إذ أنهم يتعرضون لحملة شرسة يراج منها القضاء على الإسلام، والحق أنه الإسلام السني لا غيره، وفي القلب من هذا الإسلام السني يراد القضاء على الإسلام الوسطي، الإسلام الحضاري، الإسلام الشامل الكامل المتوازن المتعايش، الذي يسعى أصحابه إلى تحقيق التعايش مع الغير وإقامة الحجة على الآخر [ ]  
وأحسب أن ما يصيب أهل الحق الآن يحمل في طياته صورة البلاء والعقاب، فما حل بنا الآن قد يكون للبعض بلاء وتمحيص واختبار، وقد يكون لأخرين عقوبة، فمن كان مقصرا في عمله وواجهه فما هو فيه صورة من العقوبة، والله تعالى يقول: { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } { الشورى: 30 }، وهذا الواقع عقوبة قد يكون بلاء لأخرين أراد الله اختبار صبرهم، ومدى تقننهم في ربه، والله يقول: { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } { البقرة: 155 }.

#### 5- كيف يستفيد أهل الحق من الابتلاء في محتهم ؟

لا شك أن في البلاء والابتلاء خير كثير ، فهو علامة على صحة الطريق، قال تعالى: { أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } { العنكبوت: 2 }، كما أنه دليل على مكانة العبد عند ربه، روى أحمد عن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَسَدٌ بِلَاءٍ؟ قَالَ: " الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَقْمَلُ، فَأَلْفَمْتُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بِلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَةٌ حُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمِشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ حُطِيئَةٌ " ..

وهذا يترتب عليه أمور ينبغي الالتزام بها:

مراجعة الأخطاء لتجنبها، فهذه هي طبيعة النفس المؤمنة التي تعرف بلوم صاحبها، قال تعالى: { لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } { القيامة: 1، 2 }، وقد أشار الله إلى ذلك أيضا بعد حين فقال سبحانه: { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِقَرَّتِ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُذْرِبِينَ } { التوبة: 25 }.  
الصبر والثبات على طريق الحق، وقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم كما روى أحمد: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ التَّثَابُتَ فِي الْأَمْرِ " .

معرفة جزاء الصبر، إذ به يهون الألم وتستشوى المصيبة، وكيفينا هنا قوله تعالى: { قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ } [لما يؤمى الصابرون أجرهم بغير حساب] { الزمر: 10 }

ما الذى يحتاجه الانسان المؤمن ليتحمل الابتلاء ويصبر عليه ؟

هناك أشياء كثيرة يحتاجها المرء ليتحمل البلاء، لكن أكبر ما يحتاج إليه المؤمن ليتحمل الابتلاء:

الاستعانة بالله تعالى، فبغير الاستعانة به سبحانه تستحيل الدنيا جحيما، ويفشل الإنسان في اختبار الله له، ولهذا أمر النبي صاحبة البلاء بتقوى الله سبحانه؛ روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَفْرَاقٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ: إِنَّكَ عَنِّي، فَأَيْكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَائِبِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى».

النظر في عاقبة المبتلين، وكيف حقق الله لهم الخير كل الخير في الدنيا، فيوسف عليه السلام لاقى من البلاء صنوفا، فلم يجزع ولم يسخط، فكانت عاقبته { رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ } { يوسف: 101 }....  
متى يرى ثواب الصبر على الابتلاء؟

العبد قد يرى ثواب صبره في الدنيا تفريجا لكرهه، وإذهابا لغمه، وتبديلا لحاله كله، قال تعالى: { وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي

الأرض وَنَجَعَلَهُمْ أَزْمَةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ} [القصص: 5]، لكن العبد قد يبتهل ولا يرى ثواب صبرا في الدنيا نصرا ولا تمكينا، كما حدث لأصحاب الأخدود: {النَّارُ ذَاتُ الْوُجُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ} [البروج: 5 - 7]، وفي مسلم عن ابن عباس، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَّمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ - وَفَعَهُ الرَّهِيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَفَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ فَعَهُ أَحَدٌ" فلا أصحاب الأخدود رأوا ثمرة صبرهم في الدنيا نصرا، ولا هذا النبي الذي يجيء يوم القيامة ومعه الرهط أو الرهيطة أو الرجل أو ليس معه أحد قد رأى تمكينا في الدنيا

لكن هؤلاء وإن لم يجدوا ثواب الصبر نصرا فقد رأوه طمأنينة في القلب، وودا من الرب سبحانه، والله تعالى يقول: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: 96]، ويقول: {لَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28].

## 6- هل يعتبر الابتلاء فرز للنفوس واصطفاء ؟

لا شك أن في الابتلاء فرز للنفوس واصطفاء للأتقياء الصابرين، والله تعالى أخبر بهذا حين قال: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران: 179].

وقد أشار صاحب الظلال إلى هذا الفرز، واعتبره ضرورة حتمية فقال: وليس من مقتضى ألوهيته، وليس من فعل سنته، أن يدع الصف المسلم مختلطاً غير مميز يتوارى المنافقون فيه وراء دعوى الإيمان، ومظهر الإسلام، بينما قلوبهم خاوية من بشاشة الإيمان، ومن روح الإسلام وتسامي المكانة التي أعدها الله لها في الآخرة

وكل هذا يقتضي أن يصهر الصف ليخرج منه الخبث وأن يضغط لتتهاوى اللبئات الضعيفة وأن تسلط عليه الأضواء لتتكشف الدخائل والضمائر

ويقول ابن القيم: إن الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس وبتليها، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكراماته ومن لا يصلح، وليمحص النفوس التي تصلح له، ويخلصها بغير الامتحان

هل يؤدي الابتلاء النفس الى الشوق الى الله ؟

نعم هو كذلك، فلو كان العبد في نعيم مطلق لركن إلى الدنيا ومتاعها، لكنه مع البلاء تنغص عليه الحياة، وبشتاق إلى دار لا هم فيها ولا غم ولا كدر، وفي الصحيحين: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالسَّجَرُ وَالذَّوَابُّ»..

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم على فراش الموت قالت فاطمة: وَآ كَرَّبَ أَبْتَاهُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا كَرَّبَ عَلَيَّ أَبِيكَ بَعْدَ الْيَوْمِ»...

إن البلاء ولا شك قد يزيد من الشوق إلى الله سبحانه، ليرى العبد موعود ربه، ويلقى الأحبة الذين فارقه من قبل على الحق صابرين صامدين، وقد كان من كلام بلال وهو يعاني شدة الموت: غدا نلقى الأحبة، محمدا وحزبه. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبِ، وَفُذْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْبَبِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَقَّئِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، أَسْأَلُكَ حَسْبَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَضْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ" والحمد لله رب العالمين